التنغيم الصّوتي عند الفلاسفة المسلمين وأثره في الدلالة

The phonetic tone of Muslim philosophers and its impact on significance

د. نصيرة شيادي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان(الجزائر)

Nacera83@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: 2019/09/13 تاريخ القبول: 2020/04/13

الملخص:

يُعدُّ موضوع التّنغيم من الموضوعات المهمّة في لغتنا العربية، كونه يعتمد على طريقة الأداء الصّوتي للحروف وما تتضمّنه من دلائل، فمعلوم أنّ الاختلاف في طريقة أداء الصّوت اللغوي يكشف عن حقيقة دلالية أرادها المتكلم في أدائه، ونحن في هذه المقالة سنقف عند مصطلح التنغيم وآثاره الدلالية عند الفلاسفة المسلمين بُغية توضيح أهميته كونه أحد أهم عناصر السياق ومن دونه يظل البحث عن دلالة التراكيب اللغوية المنطوقة متأرجحا هذا من جهة، ومن جهة ثانية توضيح الآثار الدلالية للتنغيم كما حددها الفلاسفة المسلمون.

الكلمات المفتاحية: التنغيم؛ الدلالة؛ الصوت اللغوي؛ الفلاسفة المسلمين.

Abstract:

The subject of toning is considered one of the important topics in our Arabic language, as it depends on the method of the phonetic performance of the letters and the evidence they contain. It is known that the difference in the way the linguistic sound is performed reveals a semantic fact that the speaker wanted in his performance, and we in this article will stand on the term toning and its semantic effects when Muslim philosophers in order to clarify its importance as it is one of the most important elements of the context and without it the search for the significance of spoken language structures re10mains fluctuating, on the one hand, and on the other hand to clarify the semantic effects of astrology as defined by Muslim philosophers.

keywords: Toning; semantics; linguistic sound; Muslim philosophers.

1. مقدمة:

التنغيم مصطلح حديث نقله دارسو علم الأصوات المحدثون عن الدرس الصّوتي الغربي، وهو ترجمة لمصطلح Intonation وهو يقتصر على التراكيب المسموعة دون التراكيب المقروءة، فهو تنوع في الارتفاع والانخفاض في طبقات الصوت، وهذا الارتفاع لا يكون إلا لمعنى فهل أدرك الفلاسفة المسلمون ذلك؟ وإن كان كذلك فكيف ربطوا بين التنغيم والدلالة؟

لقد اهتم الفلاسفة المسلمون بدراسة النغم الذي كان مدخلا مهما عندهم لدراسة التنغيم والنبر والمقطع الصوتي، وهي أمور بُنيت عليها هيأة الكلمة في العربية فضلا عن تفسيرها للكثير من الغموض المعرفي في بنائها.

وللكشف عن التنغيم الصوتي عند الفلاسفة المسلمين وأثره في الدلالة انطلقت من الفرضيات التالية:

. عرف الفلاسفة المسلمون التنغيم الصوتي، واختلفت تعريفاتهم وشرحهم له وذلك حسب الدافع الذي جعلهم يبحثون في كنهه.

. اتفق الفلاسفة المسلمون حول أثر التنغيم الصوتي وأثره في الدلالة وذلك من خلال توجيهه للمعنى.

والهدف من هذا البحث هو الوقوف عند أهمية الملمح فوق التشكيلي المتمثل في التنغيم كونه أحد أهم عناصر السياق ومن دونه يظل البحث عن دلالة التراكيب اللغوية المنطوقة متأرجحا، والهدف الثاني هو توضيح آثار التنغيم في الدلالة من منظور فلسفي عربي.

وسنحاول تحقيق الأهداف السالفة باتباع المنهج الوصفي التحليلي بُغية التأصيل لمصطلح التنغيم وكنهه في عرف الفلاسفة المسلمين وكذا شرح أثر التنغيم في توجيه الدلالة من وجهة نظر الفلاسفة المسلمين.

2. مفهوم التنغيم لغة واصطلاحا:

1.2 التنغيم لغة:

يدلّ أصله اللغوي على النّغمةِ وهي جرسُ الكلام وحُسن الصّوت بالقراءة وغيرها. وهو النّغمُ، وتنغّم الإنسان بالغناء ونحوه.[1]

2.2 التنغيم اصطلاحا:

التنغيم هو" تتابعات مطّردة من مختلف أنواع الدرجات الصّوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة. وهو وصفٌ للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة."[2]

وبالتالي؛ هو قمّة الظواهر الصّوتية التي تكسُو المنطوق كلّه؛ إنه الخاصة الصوتية الجامعة التي تلفُّ المنطوق بأجمعه، فالتنغيم هو الكلّ في الواحد؛ إنه ينتظمُ في أثنائه جُملة الظواهر

الصوتية الأخرى كالنبر، وليس التنغيم هو النبر كما قد يظنُّ بعضهم؛ فالنبر هو ضغطٌ على مقطعٍ من المقاطع قصْدَ وُضوحه وهو بهذا الوصف عامل مهمٌّ من عوامل التنغيم.

ونغمات الكلام دائما في تغيّر من أداءٍ إلى آخر، ومن موقف إلى موقفٍ ومن حالةٍ نفسيّةٍ لأخرى؛ [3] فهو" جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة من تعجبٍ واستفهامٍ وسُخريّةٍ وتحذيرٍ..."[4]

3.2 التنغيم عند الفلاسفة المسلمين

لقد تخطّى الفلاسفة المسلمون موقف النقل عن اليونانية والفارسية إلى التأليف في الموسيقى، واشتهر منهم في هذا المضمار: الكندي (ت 256هـ) والفارابي (ت 339هـ) وابن سينا (ت 428هـ) فدرسوا التنغيم دراسة علمية جادة ودقيقة تدنُو كثيرا مما أفرزته كُتبُ علم اللغة الحديث رغم أنّ مصطلح التنغيم مصطلح حديث.[5]

قد تجدُ في تاريخ الفكر الإسلامي من سبقَ الكندي إلى وضعِ بعضِ العلوم التي أسهمَ فيلسوف العرب فيها مثل: علم الحساب، أو الهندسة، أو الفلك، أو الطب، ولكنّ الكندي كان على التحقيق أوّل من وضعَ قواعدَ علم الموسيقى فشقَّ الطّريق أمام الفارابي وابن سينا وهما اللّذان طوّرا هذا العلم وهذّباه، وليس معنى هذا أنّ الكندي ابتدعَ هذا العلم ابتداعًا ولكنّه تلقّ التّراث اليوناني وطبّقه على الموسيقى العربية بما يتلاءمُ مع الذوقِ العربي.[6]

ردّد الكندي مصطلح النّغمة غير مرّةٍ في رسالته اللّثغة ولكن لم يُبيّن المقصود منها. ففي أصوات (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ) اختار من هذه الأصوات (أبجد، وز، ي، لمن، ع)[7] ذكر فيها أنها تحتاجُ إلى نغمةٍ. فمن ذلك ما قاله عن الألف:" إنها تحتاج إلى نغمةٍ وفتحةٍ وردّ طرفِ اللسان إلى صدر الحنك وإخراجُ نفسٍ يسيرٍ بين الشّفة السّفلى والأسنان العليا."[8]

فربّما يقصدُ الكندي بالنّغمة مُجرّد التّصويت أو الصّوت الساذج . النغمة الحنجرية التي تصدر من اهتزاز الوترين الصوتيين التي تُصاحبُ نُطقَ الأصوات المجهورة؛ [9] لأنها تتكرّر في وصفِ كلّ الحروف، وقد جاء في معجم العين: سكتَ ما نغمَ بكلمةٍ.[10]

واستعمل إخوان الصّفا النّغمة للدّلالة على الصّوت المجرّد المسموع، فقسّموا الأصوات إلى أصوات خاصّة بالحيوان سمّوها أصواتا غير منطقية وأصوات خاصّة بالإنسان سمّوها أصواتا منطقية، ثم قسّموا الأصوات المنطقية إلى دالة وغير دالة، ويقصدون من (الدالة) أصوات حروف الهجاء قالوا: "والحيوانية أيضا على ضربين منطقية وغير منطقية، فغير المنطقية هي أصوات الحيوانات غير الناطقة"[11] وهي" نغمات تسمى أصواتا ولا تسمّى منطقا."[12] وأما " المنطقية فهي

أصوات الناس وهي نوعان: دالة وغير دالة فغير الدالة: كالضحك والبكاء والصياح وبالجملة كل صوت لا هجاء له، وأما الدالة فهي الكلام والأقاويل التي لها هجاء."[13]

ويستخدمُ الفارابي مصطلح (النّغم) و(النّغمة) ليستدلّ به على ما يُعرف لدينا اليوم بالتّنغيم قال: "والنّغمُ الأصوات المختلفة في الحدّة والثّقل التي تُتخيّلُ كأنها ممتدّة."[14] ويُقابلُ مفهومه للنّغم بما أُثرَ عن علماء العربية" فالنغمةُ التي تؤخذُ نهايةَ اللّحنِ متى كانت طويلة وكانت مهزوزةً فإنّ العرب تُسمّيها الشّرقةَ لأنّ هذه اللّفظة تدلّ في لسانهم على شيء يبقى في حلقِ الإنسان، والنّغمةُ التي تؤخذُ نهايةَ اللحنِ فتهتزُّ تُتخيّلُ كأنها نغمةٌ تتردّدُ متموجّةً في الحلقِ فلذلكَ اشتقُّوا لها هذا الاسم، ومتى كانت تلك النّغمة قارة سمّوها الاعتمادَ ومتى انتهت إلى هاء ساكنة سمّوها الاستراحة." [15]

والتّنغيمُ والنّغمُ Intonation and Melody مُصطلحان مُتماثلان في الدّلالة على المنحى اللّحني في سلسلة أحداث الكلام[16] ويُطلقان" على تغيّر ارتفاع الصّوت في السّلسلة الكلامية، وهو تغيّر يرتبطُ بتذبذب الوترين الصوتيين، ويقوم أساسا على تواتُراتٍ منخفضةٍ (أقل من 300 هرتز) فالنّغمُ بوجهٍ عام يقوم من المنظار (الفيزيولوجي) بنظمِ النّفس الخارج من الرّئتين مما يؤدي إلى ارتفاعٍ تدريجي في علوّ الصّوت يَتبعهُ انخفاضٌ فيه، وهو بهذا مرتبط بتتابع الكلام."[17]

أمّا مصطلح (اللّحن). الدارسون المحدثون يُفرّقون بدورهم بين مصطلحي (النغمة) و(اللحن) فأمّا النغمة فيقصد بها تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية فتوصف النغمة بأنها صاعدة أو هابطة أو ثابتة، وأما اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية أي الترتيب الأفقي للنغمات فيقترب بذلك معنى اللحن من دلالة مصطلح التنغيم.[18] عند الفارابي فهو ذو منعكسٍ دلالي، والمرادُ به التّنغيم المصاحبُ للألفاظ[19] يقول:" إذا أردنا أن نُقرنَ القولَ بنغمٍ مؤلّفةٍ فإنا نعمدُ أوّلا فنحصي عددَ نغمِ اللّحنِ ونُحصي عدد حروف القول غير المصوّتة وما كان فيها من المصوّتة أضفناها إلى غير المصوّتة وعددنا كلّ مصوّت مع غير المصوّت المقرون به كحرفٍ واحدٍ، ثم نُقايسُ بين العددين فبالصورة تكون نغم اللّحنِ إمّا مساوية في عددها لحروف القول وإمّا أقلّ عددا منها." [20]

فاللّحن عند الفارابي هو جماعة النّغم التي تُصاحبُ الحروف في رحلتها الإسماعية، يمكن أن تَقترنَ بها الحروف التي تركّبُ منها ألفاظ دالة على معانٍ.[21]

والعلاقة بين اللّحن والنّغم تتوضّح أكثر في قول الفارابي: " أمّا ترتيب النّغم في أجزاء اللّحن فإنّه على أنحاء كثيرة فمنها: ما أجزاؤها الأوّل حادّ النغم وأواخرها ثقيلة النّغم ومنها ما هو بعكس ذلك ومنها ما أحدّ أجزائها حادّ النّغم والتالي له ثقيل النّغم وعلى هذا الترتيب إلى أن تنفذ أجزاء اللّحن."[22]

واللّحن من منظور الفارابي يُؤلّف من النّغمات المتناظرة أو المتقابلة من حيث الحدّة والثقل أو الارتفاع والانخفاض، ويتدرّج من الحدّة إلى الثّقل، أو يتصعّد من الثّقل إلى الحدّة وفي ذلك يقول:" الألحان التي أجزاؤها الأول حادّة وأواخرها ثقيلة إنما تؤلّف باستعمال الأنواع آخذة من جانب الأحدّ إلى جانب الأثقل وعكس ذلك باستعمال الأنواع آخذة من جانب الأثقل إلى جانب الأحدّ، وأمّا التي إحدى أجزاء نغمها ثقيلة والأخرى حادّة إلى أن تنفذَ أجزاؤها فإنّ صنعتها أن يُخلطَ بين الأنواع المتناظرة ... وكذلك التي يَكثُرُ فيها الارتفاعات والانحدارات، وتتوالى نغمها على أن تنحطّ في بعضها وترتفعَ في بعضٍ فهو أن يخلط بين الأنواع المتناظرة." [23]

ويرى الفارابي أنّ الأنغام التي تؤلّف الألحان كالحروف التي تؤلّف الكلام يقول: "وينبغي أن يُعلمَ أنّ النّغمَ التي منها تُؤلّف الألحان حالُها حالُ الحروف التي منها تُؤلّفُ الأقاويل." [24] فهي بمثابةِ الوحدات البسيطة الأولى قبل تركيب اللّحن.[25]

ويَعُدُّ الفارابي الأقاويل التي لا نغمَ فيها مُبتذلة يقول:" الأقاويلُ المبتذلة كلها قد يبلغُ بها المقصود في تفهيمِ السّامع وإن لم تكن الأصوات التي بها تخرج الأقاويل نغمًا مختلفة في الحدّة والثّقل" [26]

وابن سينا سارَ على سمْتِ الفارابي في نظرتهِ لظاهرةِ التّنغيم فهو يُرجع سبب حُدوثِه إلى اختلافِ الأصواتِ حدّةً وثقلاً يقول في ذلكَ: "أمّا حالُ المتموّجِ في نفسهِ من اتّصالِ أجزائهِ وتملّسها أو تشظّيها وتشذّبها فيفعلُ الحدّةَ والثقلَ"[27]

ويُوضّحُ ابن سينا الأسبابَ الفيزيائية الكامنةَ وراءَ حُدوثِ النّغمِ يقول: "إنّ أسباب سبب الحدّة صلابة المقاوم المقروع أو ملامسته أو قصره أو انحزاقه أو ضيقه إن كان مخلص هواء، أو قربه من المنفخ إن كان أيضا مخلص الهواء وأنّ أسباب سبب الثقل أضداد ذلك: من اللين والخشونة، والطول والرخاوة، والسّعة والبعد، وأنّ كلّ واحد من هذه الأسباب يعرض له الزيادة والنقصان وأنّ زيادتها تقتضي زيادة المسبب لها،ونقصانها يقتضي نقصان المسبب لها." [28]

ويَعتبرُ ابن رشد (ت 595م) النّغم" تحدثُ إمّا مع المقاطعِ الممدودةِ أو مع الحروفِ التي تمتدّ مع النّغم وتتبعُها كالميم والنون وأمّا المقاطع المقصورة فقد تُمدُّ عندَ الحاجةِ."[29] فهو ربطَ النّغم بامتداد الصّوت وقولهُ يُحيلُنا على حقيقةٍ علميةٍ مفادُها أنّ الميزةَ التي تمتازُ بها المصوتات الطويلة(الممدودة) والأصوات المتوسطة من امتدادِ الصّوتِ معها يمنحُها صفةَ الغنائية التي تقومُ على التّواصلِ بينَ مصدرِ الصوتِ ومجراهُ ونقطةَ إنتاجهِ مما يمنحُها قابليةَ التوازنِ والتشكّل والمرونة والتواصل الاستمراري.[30]

3. التنغيم وأثره في الدلالة:

التنغيم في المنطوق يقومُ مقام الترقيم في الكتابة، يقول تمام حسان:" والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أنّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة."[31]

كما أنّ هذه الظاهرة؛ ظاهرة التنغيم تُصاحبُ التراكيب، وتُساعد على فهم معنى الكلام ففي العربية أسلوبان ينقلان الجملة من دلالة إلى أخرى، وهما ضروريان للتعبير، أحدهما: التنغيم ولا يكون إلاّ في الأداء، والآخر: الترقيم ويكون في الكتابة، فنحن عندما نقول جملة نقولها بأداء معيّن، وبتنغيم معيّن، ويستطيع السامع أن يعرفَ أنه سمع إخبارا، أو استفهاما، أو تعجبا، أو استنكارا.[32]

1.3 وظيفة التنغيم

للتنغيم وظائف متعددة في عملية الاتصال بين المتكلمين يأتي في مقدمتها وظيفتان:

الأولى: وظيفة نحوية، إذ يقوم التنغيم ببيان اكتمال الجمل أو عدمه، كما يقوم بوظيفة أخرى هي تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من تقريرية، واستفهامية، وتعجبية؛ لأنّ من المعلوم أنّ لكل جملة نمط خاص من التنغيم في نهايتها.[33] وفي مبحث الاستفهام يكتسبُ التنغيم أهمية خاصة؛ إذ يُصبح الدليل الوحيد في تمييز الجمل الإثباتية عن الاستفهامية في الجمل التي لم تستعمل فيها أداة الاستفهام.[34]

الثانية: وظيفة دلالية سياقية، حيث ينبئ اختلاف النغمات وفقا لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهات النظر الشخصية من رضا، وقبول، وزجر، وتهكم، وغضب، وتعجب، ودهشة، ودعاء...حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السياق العام المتعلق بالظروف والمناسبات التي يُلقى فيها الكلام.[35]

وبذا يكون عنصر التنغيم ركنا أساسيا في الأداء يتحكم على نحو واضح في تحديد المعنى وتوجيهه اعتمادا على كيفية نُطق الجملة وتنغيمها، إذ إنّ" تغير النغمة يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات"[36]

2.3 أثر التنغيم في توجيه الدلالة

لقد سبق الفلاسفة المسلمون بأفكارهم الصوتية الأصواتيين المحدثين بعقود من الزمن، حيث توصلوا لوظائف التنغيم النحوية والدلالية، وساقوا نصوصا علمية رصينة تنبئ عن وعي لأغراض التنغيم وتوظيفه في المنطوق من الكلام البشري.

يقول الفارابي في تحديده الوظيفة الدّلالية للنّغم أو التّنغيم:" ومن فُصولِ النّغمِ الفصولُ التي بها تصيرُ دالّةً على انفعالاتِ النّفسِ والانفعالات عوارضُ النفسِ مثل: الرّحمة والقساوة والحزن والخوف والطّرب والغضب واللّذة والأذى وأشباه هذه فإنّ الإنسان له عند كلّ واحدٍ من

هذه الانفعالات نغمة تدلّ بواحد واحد منها على عارض من عوارض نفسه وهذه إذا استعملت خيّلت إلى السّامع تلك الأشياء التي هي دالّة عليها." [37]

وفي تحديد دقيق منه يهتدي الفارابي إلى الوظائف الأدائية الأربع للنّغم أو التّنغيم، يقول:" وسائرُ الأحوال الأخر سوى التي وصفناها أربعة منها ما يُفيدُ السّامع اللّذاذةَ وأنقَ المسموع ويُكسبَ اللّحن بهاءً وزينةً ومنها ما يُوقعُ في النّفسِ تخيّلاتِ أشياء على نحوٍ من التخيّلات التي لخُّصَ أمرها في الصّناعة الشّعرية ومنها ما يُكسبُ الإنسانَ انفعالات النّفس مثل: الرّضا والسّخط والرّحمة والقساوة والخوف والحزن والأسف وما جانس ذلك والرّابع هو الّذي يُكسبُ الإنسان جودةَ الفهمِ لما تدلّ عليه الأقاويل التي قُرنت حروفها بنغمِ الألحان. [38]

ويتحدّث الفارابي لمزيدٍ من الإيضاح من لدُنه عن أحوالِ النّغمِ الدالّةِ على انفعالاتِ النفسِ والمختلفة باختلاف المواقف قائلا: " النّغمُ الانفعالية هي بالجملةِ ثلاثة أصنافٍ منها: ما يُكسبُ الانفعالات التي تُنسبُ إلى قوّةِ النفسِ مثل: العداوة والقساوة والغضب والتهوّر وما جانسَ ذلكَ ومنها التي تُكسبُ الانفعالات التي تنسبُ إلى ضُعفِ النفسِ وذلك مثل: الخوف والرحمة والجزع والجُبنِ وما أشبهَ ذلكَ ومنها التي تُكسبُ المخلوط من كلّ واحد من هذينِ الصّنفينِ وهو التوسّط." [39]

فالواضح من النصوص السابقة للفارابي أنه يربط التنغيم بالمنحى الدلالي واختلاف المواقف؛ فللنّغمِ مناسبة مع الانفعالاتِ والأخلاقِ؛ فالغضبَ تنبعثُ منه نغمةٌ بحالٍ والخوفُ تنبعثُ منه نغمةٌ بحالٍ أخرى وانفعالٌ ثالثٌ تنبعثُ منه نغمةٌ بحالٍ ثالثةٍ فيُشبهُ أن يكونَ الثقلُ والجهرُ يتبعُ الفخامةَ والحاد المخافتَ فئةٌ تتبعُ ضُعفَ النّفسِ وجميعُ هذا يُستعملُ عند المخاطب إمّا لأن يتصوّر الإنسان بخلق تلكَ النّغمة أو بانفعالها عندما يتكلّم وإمّا لأن يتشبه نفس بما يُناسبُ تلكَ النغمة قساوةً وغضبًا أو رقّةً وحلمًا. [40]

ويربط ابن سينا بين التنغيم والدلالة النحوية فيُسندُ للتنغيم دورًا وظيفيا يتمثّلُ في إبرازِ انفعالاتِ المتكلّم وما يُريدُ إيصالهُ إلى المستمع من معانٍ، كما أشارَ إلى الملامح التمييزية بين المعاني النّحوية للنّغم، يقول: "وربما أعطيت هذه النّبرات بالحدّة والثّقل هيئات مستدرجة للمقول معه، بتهديدٍ أو تضرّع أو غير ذلك وربمّا صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل: أنّ النّبرة قد تجعل الخبر استفهاما والاستفهام تعجبا وغير ذلك وقد تورد للدّلالة على الأوزان والمعادلة وعلى أنّ هذا شرط وهذا جزاء." [41]

وسارَ ابن رشد على سمتِ ابن سينا فبيّن أثر التنغيم في تحديد دلالة المنطوق كونَ التنغيم يُعينُ على الإفهامِ وإيقاعِ التّصديقِ بشكلٍ تخييلي لارتباطه بالانفعالات، وعلى أنه أيضا وسيلة من الوسائل التي تُحقق موسيقى الكلام الخطابي، يقول "وأمّا النّغمُ فإنها تُستعملُ في القولِ

الخطبي لوُجوهٍ منها: لتخييل الانفعالات أو الخلق وذلك أيضا لثلاثة وجوه: أحدها عندما يريدُ المتكلم أن يُخيّلَ أنه بذلكَ الانفعالِ أو الخلق عند السّامعينَ مثل أنّه إذا أرادَ أن يُخيّلَ فيه الرّحمة رقّقَ صوته، وإذا أرادَ أن يُخيّلَ فيه الغضب عظّمَ صوتهُ وكذلكَ في الأخلاق وإنما كان ذلكَ كذلكَ لأنّ هذه الأصوات توجدُ بالطبعِ صادرةً عن اللذين ينفعلونَ أمثال هذه الانفعالات. والوجه الثاني: أن يكونَ قصده تحريكُ السّامعينَ نحو انفعالٍ ما أو خلق ما إمّا لأن يصدر عنهم التّصديق الحاصل عن ذلك الانفعال أو الخلق أو الفعل الصادر عنه. والوجه الثالث: عندما يقتصّ عن مخبرين عنهم يصفهم بذلك الانفعال أو الخلق ومنها أيضا أنها تُستعملُ لضربٍ من الوزنِ في الكلام الخطبي."[42]

4. خاتمة:

التنغيم الصوتي ظاهرة صوتية تُعدُّ من أكثر طرق الأداء اتساعا وشمولية، ولقد كان للفلاسفة المسلمين أسهام ظاهر في بلورة مفهومه ودلالته فلقد أدركُوا أثره الكبير في نفوس السامعين ومتابعتهم، وحُسن إصغائهم، فضلا عن إزالة اللبس عن معنى الجملة، وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة وفهمِ المرادِ، ومن جملة النتائج المتوصل إليها في هذا البحث نذكر:

. مصطلح التنغيم على الرغم من ادّعاء البعض أنه مصطلح حديث نقله دارسو علم الأصوات عن الدرس الصوتي الغربي إلاّ أنّ النصوص الصوتية الفلسفية تُبرز أصالة مصطلح التنغيم، وأنه مصطلح عربي أصيل.

. للفلاسفة المسلمين لمسة خاصة في دراسة التنغيم تختلف عن دراسة السابقين، فهم اهتموا بدراسته اهتماما دقيقا، وخصصوا له أبواب ومداخل، فالفلاسفة المسلمون عدّوا التنغيم مدخلا مهمّا لدراسة النبر والمقطع العربي وهي أمور بُنيت عليها هيأة الكلمة في العربية فضلا عن تفسيرها للكثير من الغموض المعرفي في بناء الكلمة العربية.

. التنغيم الصوتي مرتبط بالتراكيب المسموعة لا المكتوبة، وإدراك الفلاسفة المسلمين لهذه الحقيقة العلمية جعلتهم يدركون أنّ للتنغيم دورا في توجيه الدلالة.

. من آثار التنغيم الصوتية التي توصل إليها الفلاسفة المسلمون ما يتعلق بالوظائف النحوية مثل: تصنيف الجمل إلى استفهامية وتعجبية، وما يتعلق بالوظائف الدلالية السياقية مما له علاقة بالمواقف الحياتية التي يعيشها الإنسان: الفرح، الحزن، الغضب...

. التنغيم الصوتي يؤثر في تحديد منحى الدلالة؛ ذلك أنّ نغمات الكلام دائما في تغير من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف ومن حالة نفسية لأخرى. فهو جملة من العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة من تعجب، واستفهام، وسخرية، وتحذير مما له علاقة بالحدث الخطابي. فالفلاسفة المسلمون سبقوا الزمان بأزمان عندما توصلوا لهذه الحقائق العلمية الرصينة، ولذلك من الإنصاف توجيه أنامل الباحثين لاستقراء الظواهر فوق التشكيلية(المقطع، النبر، التنغيم، المفصل الصوتي...) من التراث العربي ثم إعادة إحيائها وفقا لمعطيات الدرس اللساني الحديث.

الهوامش:

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ، 1979م، مادة (ن غ م) 5/ 452.
2. أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418هـ، 1997م، ص 229.
3. كمال بشر، فن الكلام، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 2003م، ص 262 . 263.
4. بارتيل مالبرج، علم الأصوات، دراسة وتعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، دط، دت، ص 209.
5. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: دار الفكر، سوريا، ط 1، 1421 هـ، 2000 م، ص 263.
6. أحمد فؤاد الأهواني، الكندي فيلسوف العرب: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دط، دت، ص 161، وينظر: رحاب عكاوي، الكندي أبو يوسف يعقوب بن إسحاق أعظم الحكماء في تاريخ البشرية أبحاثه وآراؤه الفلسفية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000 م، ص 48.
7. الكندي، رسالة اللثغة، ضمن علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، محمد مراياتي، ويحيى مير علم، ومحمد حسان الطيان، تقديم: شاكر الفحام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1407هـ، 1987م، ص 524 . 525 . 526.
8. الكندي، رسالة اللثغة: ص 524.
9. غانم قدوري الحمد . فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي . مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الرابع، ذو الحجة، 1428 هـ ، ص 222.
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، كتاب العين: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1424هـ ، 2003 م، 4/247.
11. إخوان الصفا، تقديم: عليوش عبود، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، دط، 1992 م، 1 /252 و3 / 272.
12. نفسه 3 / 272 . 273.
13. نفسه 1/ 252.
14. أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، كتاب الموسيقى الكبير: مراجعة وتصدير: محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة، دط، دت، 86/1.
15. نفسه 2 / 1165 . 1166.
16. عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1431هـ ، 2010 م،وينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط 1، 1418 هـ، 1998 م، ص256، ص23.
17. بسام بركة، علم الأصوات العام . أصوات اللغة العربية . مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، دط، دت،ص 100.
18. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب، دط، 1407 هـ، 1986م، ص 200 وينظر: محمود السعران،علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص 192 وغانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1425هـ 2004، ص 243
19. عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي،ص 23.
20. الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير: 1100/2
21. نفسه 1/ 47
22. نفسه 2/ 1168

23. نفسه 2/ 1169
24. نفسه1/ 120
25. عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب . دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى السعودية، 1424هـ ، 1425هـ،ص 325 .
26. الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير: 2/ 1092.
27. الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مراجعة و تقديم: شاكر الفحام، أحمد راتب النفاخ، رسالة أسباب حدوث الحروف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،ط1 ، 1403 هـ ،ص 59
28. نفسه، ص 59 وينظر: ابن سينا، تحقيق : زكريا يوسف، تصدير: ومراجعة: أحمد فؤاد الأهواني، ومحمود أحمد الحفني، الشفاء . الرياضيات . جوامع علم الموسيقى،المطبعة الأميرية، القاهرة، 1376 هـ ، 1956 م، ص 10
29. ابن رشد، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، تلخيص الخطابة: دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 286
30. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص 149
31. تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص 226
32. عاطف فضل محمد، الأصوات اللغوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1434هـ، 2013م، ص 158
33. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، مصر، دط، 2000م، ص 543 . 544
34. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971م، ص 25 . 26
35. كمال بشر، علم الأصوات، ص 539 . 540
36. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط2، 1963م، ص 47
37. الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير،2/ 1071
38. نفسه 2/ 1171
39. نفسه2/ 1179
40. نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984 م، ص 264
41. التفكير اللساني في الحضارة العربية: الدار العربية للكتاب، ط2، 1986 م، ص 266
42. ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص 251